# أزرق

## ونصوص أخرى

سنابل للكتاب
٥ شارع صبرى أبو علم
باب اللوق - القاهرة
الإدارة :
(+202) 23 92 65 93
المكتبة :
(+202) 23 93 56 56
e-mail
sanabooks@maktoob.com
web:
www.sanabil.net

أزرق

• تأليف:

روبين داريو

• ترجمة:

أحمد يمانى

رقم الإيداع: 2012/13424
الترقيم الدولى: 978-977-5255-05-1

لوحة الغلاف
كريم سعدون

تصميم وتنفيذ
محمد سيد

*SANABEL Editorial Hispano-Egipcia*
*www.sanabil.net*
*sanabooks@hotmail.com*

الطبعة الأولى :2012

حقوق الطبع محفوظة

# أزرق

## ونصوص أخرى

تأليف:

روبين داريّو

الترجمة عن الإسبانية:

أحمد يماني

هذه هي الترجمة العربية لكتاب:

De "Azul" y otros textos

Autor: Rubén Darío

Traducción al árabe: Ahmad Yamani

«Esta obra ha sido publicada con una subvención de la Dirección General del Libro, Archivos y Bibliotecas del Ministerio de Cultura de España».

تم دعم ترجمة هذه الكتاب من قبل المديرية العامة للكتب والأرشيف والمكتبات في وزارة الثقافة الإسبانية

# أزرق

إلى السيد فيديريكو باريلا

كان لهيرون، ملك سيراكيوز، والذي خلد في أبيات يونانية ذائعة، بستان ممتاز بفضل الآله، ذو تربة جد خصيبة، تلقحها الشمس العظيمة، وكان يسمح للعديد من المزارعين بأن يبذروا بذروهم ونباتاتهم. كانت هناك أوراق غار خضراء ومجيدة، وأشجار أرز عبقة، وورود حمراء، وقمح ذهبي، ومن دون أن تنقص الأعشاب المسكينة التي جابهت صبر هيرون.

لا أعرف ماذا كان يمكن أن يبذر ثيوقراط، لكن أظنه كان نبات القَصاص وشجيرة ورد.

سيدى، لتسمح أن تتمدد بجانب واحدة من أشجار البلوط في بستانكم شجرة لبلابي.

# حكايات نثرية

# بحثا عن اللوحات

بلا فرشاة ولا باليته ولا ورق ولا قلم رصاص، فإن ريكارود، الشاعر الغنائي الذي لا يبارى، كان يهرب من الاضطرابات والقلاقل، من الآلات، من الصرر، من الضجيج الرتيب للترام واصطكاك حدوات الخيل مع دبدبة القواقع فوق الأحجار، من سباق العدّائين أمام البورصة، من حشود التّجّار، من صراخ بائعي الجرائد، من الصخب الذي لا يهدأ ومن الأوار الذي لا ينتهي لهذا الميناء؛ بحثا عن انطباعات ولوحات، صعد إلى تل أليجري الرشيق كصخرة كبيرة مزهرة، تبرق جنباته الخضراء، تتوج أكمته بيوت بهيجة مصفوفة في المرتفع، تحيطها حدائق بستائر متموجة من أشجار اللبلاب وأقفاص العصافير وأباريق الزهور وقضبان النوافذ البديعة وأطفال شقر بوجوه ملائكية.

في الأسفل سقف بيت بالباراييسو من يعقد الصفقات التجارية، ويمشي على قدميه كهبّة ريح، من يعمر المخازن

ويغزو البنوك، والذي يلبس في الصباح لونا كريميا أو رصاصيا، مربعات، ويعتمر قبعة من الجوخ وفي المساء يتحرك في شارع الكابو بقبعة عالية براقة وبالمعطف على ذراعه وقفازات صفراء، ناظرا إلى الضوء الخارج من الواجهات الزجاجية والوجوه الوسيمة للنساء العابرات. أبعد من ذلك هناك البحر الصلب، ضبابي، السفن في مجموعات، الأفق الأزرق البعيد، في الأعلى، بين العتمات هناك الشمس.

حيث كان السيد الحالم العنيد، تقريبا في أعلى نقطة من التل، بالكاد يشعر باختلاجة الأسفل. كان يهيم على وجهه بطول طريق ثينتورا ويفكر في غزليات رعوية، بوجه صفيق فخيم لشاعر كان مليونيرا.

كان هناك هواء عليل لرئتيه وبيوت فوق القمم كأعشاش في مهب الريح، حيث كان بالإمكان وضع أزواج من المحبين بكل سرور وكان لديه، بالإضافة إلى ذلك، الفضاء الأزرق الشاسع، والذي كان بإمكان واضعي المزامير والتراتيل، هو يعرف هذا جيدا، أن يتصرفوا فيه كما يشاءون. فجأة سمع: "ماري، ماري!" وهو الذي كان يمضي باحثا عن صيد من الانطباعات وعن لوحات، حوّل بصره.

# منظر طبيعي

بعد فترة وجيزة توقف. كانت الشمس قد مزقت الحجاب الكثيف للغيوم واستحمت في صفاء الفجر الشبيه باللؤلؤ في منعطف الطريق. هناك بعض أشجار الصفصاف تحنى ذؤاباتها حتى تلامس العشب.

في الخلفية تلمح وهاد شاهقة وفيها أرض سوداء وأرض حمراء، وأحجار ضخمة تلمع كالزجاج.

تحت أشجار الصفصاف منهكون يقومون بتشذيبها نافضين رؤوسها الفلسفية. آه، أيها المعلم العظيم هوجو! بعض الحمير وبالقرب منها ثور ضخم بعينيه الكبيرتين الحزينتين والغارقتين في الأفكار حيث تدور نظرات وحنو نشوة جليلة ومجهولة. كان يعلك العشب ببطء وببعض الكسل. فوق الجميع كانت يطفو رذاذ دافئ، والرائحة اللطيفة الريفية للأعشاب المدهوسة. كان يرى نفسه في العمق قطعة زرقاء، فلاحا راسخا من وسط تشيلي، واحدا من أولئك الريفيين الأقوياء،

هراقلة خشنين أوقفوا ثورا ظهر بغتة في أعلى نقطة من الوهاد.

كانت السماء الواسعة وراءه. رجلاه، مفتولتا العضلات، عاريتان. في أحد ذراعيه كان يحمل حبلا غليظا وملفوفا. فوق رأسه، كقبعة من ثعالب الماء، كان شعره معقودا ومتلبدا وهمجيا. وصل إلى الثور في الحال وألقى بالأنشوطة على قرنيه. على مقربة منه كلب بلسانه خارج فمه، يلهث ويحرك ذيله ويتقافز.

حسنا! قال ريكاردو. ومضى.

# الرأس

في الليل، لا تزال تطن في أذنيه موسيقى الأوديون وبرلمانات أستول؛ عائدا من الشوارع حيث كان يسمع ضجيج السيارات والإنشاد الحزين لبائعي التورتيلا،كان ذلك الحالم في مكتبه، حيث الأوراق ناصعة البياض بانتظار المقاطع الشعرية والسونيتات المعتادة والنساء ذوات العيون المتقدة. أف!

يا للمقاطع! يا للسونيتات! رأس الشاعر الغنائي كانت حفلا جماعيا من الألوان والأصوات.

كانت ترن في تجاويف ذلك الدماغ مطارق سيكلوبات، أناشيد طبول رنانة، موسيقى بربرية، ضحكات بلّورية، زقزقة عصافير، رفرفة أجنحة، قرقعة قبلات، بإيقاعات مجنونة وصاخبة. والألوان المجتمعة كانت مثل بتلات زهور مختلفة ومختلطة على صينية أو كمزيج شيطاني من الأحبار التي تملأ لوحة ألوان أحد الرسامين... إضافة إلى ذلك...

# طبيعة صامتة

بالأمس رأيت عبر إحدى النوافذ إصيصا مليئا بزنابق الليلك وبورود ذابلة، فوق حامل ثلاثي. في الخلفية ثمة ستائر صفراء وفخيمة تذكر بعباءات الأمراء الشرقيين. تظهر الزنابق المقطوفة لتوها بلونها اللطيف، جنبا إلى جنب مع بتلات ورود الشاي الاسفنجية.

بجانب الإصيص، في كأس من الليك مرصع في ترتيب بأبي منجل ذهبي، تبعث على التهام تفاحات طازجة، شبه حمراء، بأعشاب الفاكهة الجديدة واللحم المنتفخ اللذيذ الذي يثير الرغبة؛ كمثرى ذهبية وشهية والتي تعطي دلائل إلى أنها مليئة بالعصارة وكما لو كانت تنتظر سكين الفضة لتشق اللباب العسلي؛ وحفنة من العنب الأسود، لديها حتى الغبار الرمادي الخفيف لعنقود الكروم الذي قطع لتوه.

أدنو وأرى كل شيء من قريب. الزنابق والورود كانت من الشمع، التفاح والكمثرى من الرخام المطلي والعنب من الزجاج.

طبيعة صامتة!

# المثال

وبعد ذلك، برج عاجي، وزهرة صوفية ونجمة تُعشق... عبرت، رأيتها

كمن يرى فجرا، هاربة، سريعة، قاسية. كانت تمثالا قديما لأنثى بروح تتبدى في عينيه،

بعينين ملائكيتين،

كلها حنان، كلها زرقة، كلها لغز. شعرت أنني أقبّلها بنظراتي وعاقبتني بعظمة جمالها ونظرت إلي كملكة، كحمامة. لكنها مرت خلابة، منتصرة، مثل رؤية خاطفة.

وأنا، رسّام الطبيعة والأرواح المسكين، صانع الإيقاعات وقصور الهواء، رأيت رداء الجنّيّة البرّاق، والنجمة في تاجها، وفكرت في الوعود الطموحة للغرام الجميل. أكثر من ذلك الشعاع الجليل والحتمي، وحده بقي في أعماق رأسي وجه امرأة، حلم أزرق...

# الملك البرجوازي

## حكاية مرحة

صديقي! السماء غائمة والهواء بارد والنهار حزين. إليك حكاية مرحة... كي ينقشع الضباب والكآبة الرمادية، إليك بها:

كان هناك في مدينة شاسعة وبرّاقة ملك ذو حول وطول، كانت لديه ملابس غريبة وغالية وجوار عاريات، بيض وسود، وأحصنة بأعراف طويلة وأسلحة بالغة اللمعان وكلاب سلوقية سريعة وقنّاصة بقرون برونزية يملأون الريح بصلافتهم. أكان ملكا شاعرا؟ لا يا صديقي:

كان الملك البورجوازي.

***

كان الملك مولعا بالفنون وكان ينعم بسخاء على موسيقييه ومدّاحيه ورساميه ومثّاليه وصيادلته وحلاقيه وأساتذة المبارزة.

عندما كان يذهب إلى الغابة الصغيرة، بالقرب من عنيزة أو خنزير جبلي جريج ونازف، كان يجعل معلمي البلاغة يرتجلون أغنيات تلميحية، والعبيد يملئون الكؤوس الذهبية بالنبيذ الذي يفيض عنها والنسوة يصفقن بحركات إيقاعية رشيقة. كان ملكا شمسا في بابله الملأى بالموسيقى والقهقهات وجلبة الولائم. عندما يضجر من المدينة الصاخبة كان يذهب إلى الصيد صاعقا الغابة بجلبته، مخرجا الطيور فزعة من أعشاشها، والصياح كان يرتد من أكثر الكهوف خفية. الكلاب بقوائمها المرنة تمزق الأجمات في عدوها، والصيادون المنحنون على أعناق الأحصنة، يموجون العباءات الأرجوانية بوجوه مشتعلة وشعورهم تطير في الريح.

***

كان للملك قصر منيف حيث راكم فيه الثروات والأعمال الفنية العجيبة. كان يصل إلى القصر عبر مجموعات من الزنابق والبرك الواسعة، يحييه البجع بأعناقه البيضاء قبل أن يحييه الخدم المتأنقون. ذوق رفيع. يصعد عبر سلم تملؤه أعمدة الألابستر والزمرد، على جانبيه أسود من المرمر كما في عرش سليمان. رهافة. بالإضافة إلى البجع كانت لدية

مجموعة هائلة من أقفاص الطيور، ولأنه عاشق للتناغم والهديل والتغريد، فقد كان يوسع روحه إلى جوارها، قارئا روايات لجورج أونيت[1] أو كتبا جميلة حول مسائل نحوية أو انتقادات جمالية. نعم، كان مدافعا لا يلين عن القواعد الأكاديمية الصحيحة في الأدب وعن الأسلوب المتكلف في الفن؛ روح جليلة تعشق الورق المصقول وعلم الهَجاء.

***

رسومات يابانية وصينية، تماشيا مع الموضة ليس أكثر. كان بإمكانه أن يمتع نفسه تماما بالصالون الذي يليق بذوق جونكور[2] وملايين كرويسوس[3]: تمثال لخيمر[4] من

---

[1] جورج أونيت، روائي ومسرحي فرنسي (1848-1918). م

[2] إدمونـد (1822-18896) وجـوليس جونكـور (1830-1870) الكاتبـان الفرنسيان الشقيقان اللذان عرفا بحبهما البالغ للآداب والفنون وقد أسس إدمونـد جائزة جونكور وهي أرفع جائزة في الآداب الفرنسية. م

[3] كرويسوس هو آخر ملوك ليديا من الأسرة الميرمنادية، وحكم بين عامي 560 – 546 ق م وقد جمع ثروة هائلة من التجارة كانت مضرب الأمثال. م

[4] الخيمر كائن خرافي في الميثولوجيا الإغريقية يتقيأ نارا ولـه ثلاثـة رؤوس، رأس أسد ورأس ماعز ورأس تنين. م

البرونز بحلق مفتوح وبذيل ملتو، في مجموعات رائعة وعجيبة؛ أصماغ اللك من كيوتو[5] مطعمة بأوراق وفروع لزهرة وحشية وحيوانات من تصنيف غير معروف وفراشات بأجنحة غريبة على طول الجدران؛ أسماك وديوك ملونة وأقنعة ذات إيماءات جهنمية وبعيون تكاد تكون حية؛ حراب من أنصال بالغة القدم ومقابض على

شكل تنانين تلتهم أزهار اللوتس؛ وفي محارات البيض، أردية من الحرير الأصفر كما لو كانت قد نسجت بخيوط عنكبوت، مبذورة بطيور مالك الحزين الحمراء وشجيرات الأَرُز الخضراء، وجرار من البورسلين من قرون عدة، من تلك المرسوم عليها محاربون تتاريون تغطيهم الجلود حتى كِلياتهم ويحملون أقواسا مشدودة وجعبات سهام.

علاوة على ذلك، كانت هناك القاعة الإغريقية، المليئة بالمرمر والآلهة وربات الفنون والحوريات والساتير، قاعة من الأزمنة الأنيقة بلوحات للعظيم أنطوان واتو[6] وشاردان[7]؛ اثنتان، ثلاثة، أربعة، كم قاعة كانت؟

---

[5] المدينة اليابانية الشهيرة. م

[6] الرسام الفرنسي الشهير (1721-1884)، م

وكراع للفنون والآداب كان يتجول فيها جميعا، بوجه يفيض الجلال، بطنه ملآن والتاج على رأسه، كملك أوراق اللعب.

***

ذات يوم حملوا إليه رجلا من سلالة نادرة وألقوه أمام عرشه، حيث كان هناك محاطا بالحاشية والبلغاء وأساتذة الفروسية والرقص.

– ما هذا؟ سأل.

– هذا شاعر يا سيدي.

كان لدى الملك بجع في البركة وعصافير كناري وطيور دوري وطيور حسون في الأقفاص: والشاعر كان شيئا جديدا وعجيبا. – اتركوه هنا.

والشاعر:

– أنا لم آكل يا سيدي.

والملك:

– تكلم وسوف تأكل.

بدأ:

---

[7] جان سيمون شاردان (1699–1779) الرسام الفرنسي وأحد أكبر فناني القرن الثامن عشر. م

سيدي، لي زمن وأنا أتغنى بالمستقبل. فردت أجنحتي في الإعصار؛ ولدت ساعة الفجر، أبحث عن السلالة المنتقاة التي عليها الانتظار بالترنيمة في الفم والقيثارة في اليد سطوع الشمس العظيمة. هجرت إلهام المدينة اللعينة، هجرت الغرفة المفعمة بالعطر، الملهمة التي من لحم ودم والتي تملأ الروح بالصغائر والوجه بغبار الأرز. قطعت آلة الهارب المداهنة بأوتارها الضعيفة، على كؤوس بوهيميا[8] والجرار التي يفور فيها النبيذ، الذي يسكر ولا يهب القوة، ألقيت الرداء الذي يجعلني أبدو مهرجا[9] أو امرأة ولبست بطريقة وحشية ومتألقة، أسمالي أرجوانية. ذهبت إلى الغابة حيث اشتد عودي وأتخمت بحليب خصب ورحيق حياة جديدة، وعلى شاطئ البحر الخشن نفضت رأسي تحت العاصفة العاتية والسوداء كملاك متعجرف أو كنصف إله من آلهة الأوليمب، تدربت على "اليامبو" [10] وهجرت القصائد الغزلية.

---

[8] بوهيميا هي المقاطعة التاريخية في جمهورية التشيك وتشتهر بصناعة الزجاج.

[9] وهو الاسم الذي كان يطلق سواء في الكوميديا أم التراجيديا على الممثل الـذي يظهر متنكرا. م Histrión في الأصل

[10] تفعيلة عروضية تتكون من مقطع صوتي قصير وآخر طويل. م Yambo

داعبت الطبيعة العظيمة وبحثت، تحت حرارة المثالي، عن الشعر القابع في النجم في كبد السماء، وفي اللؤلوة الكامنة في أعماق المحيط. أردت أن أكون صلبا! فزمن الثورات الكبرى قادم، بماشيح يشع بالنور، كله تحريض وقوة، ومن اللازم استقبال روحه بقصيدة تكون قوسا للنصر، بمقاطع من الصلب، بمقاطع من الذهب، بمقاطع من الحب.

سيدي، إن الفن لا يقبع في صرر الرخام الباردة، ولا في اللوحات المتأنقة، ولا في روايات السيد الماهر أونيت! الفن يا سيدي، لا يرتدي سراويل، ولا يتحدث في لغة برجوازية، ولا يضع كل النقاط على الحروف. إنه مهيب، أرديته من ذهب، من لهب، أو يمضي عاريا، يعجن الصلصال بالحمى ويرسم بالنور، وهو ميسور، ويضرب بأجنحته كالنسور أو يضرب بمخالبه كالأسود. سيدي، ما بين أبولو وإوزة تفضلون أبولو، حتى لو كان الأول من طمي محروق والثاني من عاج.

آه، أيها الشعر!

والآن، فإن الإيقاعات تتعهر، تتغنى بشامات النساء، وتصنع مشروبات شعرية. كذلك، يا سيدي، فإن الإسكافي ينتقد إيقاعات قصائدي، والسيد أستاذ الصيدلة يضع الفواصل والنقاط

على إلهاماتي. وأنتم، يا سيدي، سمحتم لهم بكل هذا. المثالي، المثالي...

قاطعه الملك: ها قد سمعتم، ماذا نفعل معه؟

قال فيلسوف تحت الطلب:

لو سمحتم، يا سيدي، يمكنه أن يكسب عيشه بتدوير صندوق من الموسيقى، يمكننا أن نضعه في الحديقة، إلى جوار البجع، يعزف كلما تنزهتم هناك.

نعم، قال الملك متوجها إلى الشاعر، عليك بتدوير دولاب الصندوق وإغلاق فمك. ستقوم بتشغيل صندوق الموسيقى الذي يعزف الفالس ورقصة المربعات وموسيقى الجالوبا الشعبية، إذا لم تكن ترغب في الموت جوعا. قطعة موسيقى في مقابل قطعة خبز. لا رطانات ولا مثاليات. اذهب.

ومنذ ذلك اليوم كان يمكن رؤيته على حافة بحيرة البجع، الشاعر الجائع الذي يدير عجلة الصندوق: تيريرين، تيريرين... خجلا على مرأى الشمس العظيمة! هل مر الملك بالقرب؟ تيريرين، تيريرين... هل كان عليه أن يملأ بطنه؟ تيريرين! هذا كله بينما تسخر منه الطيور الطليقة التي كانت تأتي لتشرب الندى من الليلك اليانع، بين طنين النحل الذي يلدغ

وجهه ويملأ عينيه بالدموع، تيريرين...! دموع مريرة تجري على خديه وتسقط على الأرض السوداء.

وحل الشتاء، وأحسّ المسكين بالبرد في جسده وروحه، وكان عقله كما لو كان حجرا والأناشيد الكبرى قبعت في النسيان، وشاعر الجبال المتوجة بالنسور لم يكن إلا رجلا بائسا يدير عجلة صندوق الموسيقى، تيريرين!

وحينما تساقط الثلج نسيه الملك وتابعوه، دثروا الطيور وتركوه هو في البرد القارص الذي ينهش لحمه ويسوط وجهه، تيريرين!

وفي إحدى الليالي التي كان المطر الأبيض يسقط ندفا كريستالية، كان هناك حفل في القصر وضوء العناكب يضحك مرحا على الرخام، على الذهب، على أردية كبار موظفي الخزف الصيني العتيق. التصفيق حتى الجنون لأنخاب خطاب أستاذ البلاغة المرصع بالداكتيل[11] والأنابيست[12] والبريكيو[13].

---

[11] نوع من العروض يتكون من مقطعين قصيرين وآخر طويل.م

[12] تفعيلة يونانية تقوم على مقطعين قصيرين يليهما مقطع طويل. م

[13] تفعيلة كلاسيكية تقوم على مقطعين قصيرين. م

بينما الشمبانيا تفور في الكؤوس الزجاجية بزبدها العابر المتلألئ، ليلة شتوية، ليلة احتفالية! التعس وقد غطاه الجليد، بالقرب من البركة، كان يقوم بتدوير عجلة الصندوق كي يتدفأ، تيريرين! تيريرين! مرتعشا ومخدرا من البرد، تهينه ريح الشمال، تحت البياض الناصع الجليدي، في الليلة الكالحة، جاعلا الموسيقى المجنونة للمربعات والجالوبا تدوي بين الأشجار الخالية من الأوراق، حتى مات، تيريرين...

مفكرا أن الشمس ستشرق في اليوم التالي ويأتي معها العالم المثالي تيريرين... وأن الفن لن يلبس
سراويل بل رداء من اللهب أو من الذهب... إلى أن وجد الملك وحاشيته في اليوم التالي الشاعر البائس، كعصفور دوريّ قتله الجليد، بابتسامة مريرة على شفتيه ويده قابضة على عجلة الصندوق.

***

آه، يا صديقي! إن السماء غائمة والهواء بارد والنهار حزين. ترفرف كآبات ضبابية ورمادية...

لكن، كم تبعث الدفء في الروح جملة، مصافحة تأتي في أوانها، إلى اللقاء!

# العصفور الأزرق

باريس مسرح مسل ومهول. من بين رواد مقهى بلومبيه، شباب طيبون ثابتو العزم- رسّامون ومثّالون وكتّاب وشعراء- نعم، كان الجميع يبحث عن التاج القديم للغار الأخضر! لم يكن أحد محبوبا أكثر من ذلك المسكين جارثين، كان حزينا بشكل شبه دائم، ومتعاطيا جيدا لشراب الأفسنتين، حالما لا يسكر أبدا، وبوهيميا أصيل ومرتجلا رائعا.

في الغرفة الصغيرة المتخلّعة للقاءاتنا المرحة، كان جص الجدران يحفظ، بين التخطيطات الأولية وملامح الرواسب المتشكلة مستقبلا، أشعارا ومقاطع كاملة مكتوبة بالخط المهمل والغليظ لحبيبنا العصفور الأزرق.

كان العصفور الأزرق هو المسكين جارثين، ألا تعرفون لماذا سمي هكذا؟ نحن من عمدناه بهذا الاسم.

لم يكن ذلك مجرد نزوة. كان نبيذ ذلك الفتى البارع حزينا[14] وعندما استفسرنا منه بينما كنا نضحك برعونة أو كصبية صغار، قطبّ ما بين حاجبيه ونظر مليّا إلى السماء الصاحية وأجابنا مبتسما ببعض المرارة:

– عليكم أن تعرفوا، أيها الرفاق، أن لدي عصفورا أزرق في دماغي، وبناء عليه...

ما حدث كذلك أنه كان يروق له أن يذهب إلى الحقول الجديدة، عند حلول الربيع. كان هواء الغابة ينعش رئتيه، حسبما قال لنا الشاعر.

اعتاد أن يعود من نزهاته الخلوية بباقات من البنفسج ورزم أوراق غليظة من القصائد الغزلية، مكتوبة على حفيف أوراق الأشجار وتحت السماء الواسعة الصافية. كانت زهور البنفسج من أجل نيني، جارته، فتاة غضة ومتوردة ولها عينان بالغتا الزرقة.

---

[14] ربما يعود هذا التعبير "النبيذ الحزين" إلى أبيات لجوستابو أدولفو بيكر يقول فيها:

بماذا تفكر؟

لاشيء، لا شيء

ولماذا تبكي؟

ذلك أن حزني سعيد ونبيذي جزين.

الأشعار كانت من أجلنا نحن، كنا نقرأها ونصفق. كان كل منّا يثني على جارثين. عبقري لابد له أن يتألق. سيأتي زمن، آه، وسيحلق الطائر الأزرق عاليا، برافو! ممتاز! أيها النادل مزيدا من الشراب!

مبادئ جارثين:

**من الزهور أزهار الجريسة الجميلة.**

**من بين الأحجار الكريمة الياقوت الأزرق.**

**من الشساعة السماء والحب، أي حدقتا نيني.**

وكرر الشاعر: أعتقد أنه من المفضل دوما العصاب على الحماقة.

***

كان جارثين أحيانا يبدو أكثر حزنا من المعتاد.

كان يمضي عبر الممرات المشجرة؛ ويرى لا مباليا عربات الخيول الفخمة والرجال المتأنقين والسيدات الفاتنات. أمام الواجهة الزجاجية لأحد محلات المجوهرات كان يبتسم؛ لكن عند عبوره بالقرب من أحد مخازن الكتب، كان يقترب من الواجهة الزجاجية ويتشمم وعند رؤيته للطبعات الفاخرة، لم يكن يخفي حسده، يقطب جبينه، كي يخفف عن نفسه كان يتوجه بوجهه نحو السماء ويتنهد. كان يسرع إلى المقهى باحثا

عنّا، وهو مثار وهائج يكاد يبكي، يطلب كأسه من الشراب ويقول لنا:

– نعم، داخل قفص دماغي ثمة عصفور أزرق حبيس يريد حريته...

***

كان هناك من وصل إلى الاعتقاد في فقدانه لعقله. قام طبيب في الأمراض العصبية، تم إخباره بما كان يحدث له، بتصنيف الحالة هوسا خاصا. لم تترك دراساته في علم الأمراض مكانا للشك. بالفعل، كان المسكين جارثين محنونا.

ذات يوم تلقى من والده، وهو عجوز ريفيّ من نورماندي يتاجر في الأسمال، خطابا يقول التالي على وجه التقريب:

"أعرف ممارساتك الجنونية في باريس –إذا ما بقيت على هذا الحال فلن تحصل منّي على مليم واحد. تعال لتأخذ كتبك من متجري، وعندما تحرق أيها الكسول مسوداتك البلهاء، ستحصل على نقودي."

قرأ هذا الخطاب في مقهى بلومبيه.

– وهل ستذهب؟

– لن تذهب؟

– هل ستقبل؟

– هل ستستخف بالأمر؟

برافو جارثين! مزق الخطاب وأطلق أشرعة خياله وارتجل بعض المقاطع، انتهت هكذا، إذا لم تخني الذاكرة:

**نعم، سأكون كسولا دوما،**

**وهذا ما أصفق له وأحتفي به،**

**طالما ظل دماغي**

**قفصا للعصفور الأزرق!**

ومنذ ذلك الحين تغير حال جارثين، استحال إلى ثرثار وغرق في البهجة. اشترى سترة جديدة وبدأ كتابة قصيدة ذات مقاطع ثلاثية عنوانها، كما هو واضح، العصفور الأزرق.

كان يقرأ كل ليلة في سهراتنا شيئا جديدا من القصيدة. كان ذلك رائعا وجليلا وغير معقول.

هناك كانت ثمة سماء شديدة الجمال وريف جد منعش وبلدان كما لو كانت انبثقت عبر الفرشاة الساحرة لـ كورو[15] ووجوه أطفال تتطلع بين الزهور وعينا نيني الدامعتان والكبيرتان، فضلا عن ذلك، فإن الإله الطيب أرسل عصفورا أزرق يطير، يطير ،خصوصا هذا، ودون أن نعرف كيف ولا متى، عشّش في رأس الشاعر، حيث بقي حبيسا. عندما يغني العصفور فإن الشاعر يكتب أبياتا مرحة ومتوردة. عندما يودّ العصفور أن يطير ويشرع أجنحته ويتخبط في جدران

---

[15] كامي كورو، الرسام الفرنسي الشهير (1796-1875)

الجمجمة، تصل العينان إلى السماء وتقطب جبينه ويشرب الأفسنتين بقليل من الماء، وعلاوة على ذلك يدخن، في نهاية الأمر، سيجارة من الورق.

كانت هناك القصيدة. ذات ليلة جاء جارثين وهو يضحك كثيرا ومع ذلك كان حزينا جدا

***

كانوا قد حملوا الجارة الجميلة إلى المقبرة.

نبأ عاجل! نبأ عاجل! غناء أخير لقصيدتي. لقد ماتت نيني. يأتي الربيع ونيني تذهب.

أوفر البنفسجيات للحقل. ينقص الآن ختام القصيدة ولن يتنازل الناشرون ويقرؤوا أشعاري، وأنتم في القريب العاجل سيكون عليكم أن تتفرقوا، إنه قانون الزمن. الختام يجب أن يعنون هكذا: "كيف يصل العصفور الأزرق إلى السماء الزرقاء".

***

في ذروة الربيع! الأشجار مزهرة والسحب وردية في الفجر وشاحبة في المساء؛ الهواء العليل الذي يحرك الأوراق ويجعل أشرطة قبعات القش ترفرف بجلبة خاصة. لم يذهب جارثين إلى الحقل.

إنه هناك، يأتي في بزة جديدة إلى مقهانا الحبيب بلومبيه وهو شاحب وبابتسامة حزينة.

– أصدقائي، عانقوني، عانقوني جميعا، بقوة هكذا، قولوا لي وداعا، بكل مشاعركم، بكل أرواحكم... العصفور الأزرق يطير... وبكى المسكين جارثين، شد على أيدينا بكل قوته وذهب ونحن جميعا قلنا إن جارثين الابن الضال، يبحث عن أبيه النورماندي العجوز، وداعا، وداعا، جارثين! شاعرنا سيعمل في قياس الأسمال. لنشرب نخب جارثين!

***

في اليوم التالي، كنا جميع رعايا مقهى بلومبيه، شاحبين وخائفين وحزانى، نحن من كنا نتزاحم في الحجرة الضيقة، جميعا التقينا في غرفة جارثين. كان هو في فراشه فوق الملاءات المخضبة بالدماء، وجمجمته محطمة جراء عيار ناريّ. على الوسادة كانت هناك نتفا من مخه.

يا للفظاعة! بعدما أفقنا من الصدمة استطعنا أن نبكي أمام جثة صديقنا، وجدنا القصيدة الشهيرة معه. في الصفحة الأخيرة كانت مكتوبة هذه الكلمات:

–اليوم، في ذروة الربيع، أترك باب القفص مفتوحا أمام العصفور الأزرق المسكين.

***

آه يا جارثين! كم من بشر يحملون في دماغهم مرضك نفسه!

# نصوص شعرية

# في تشيلي

## (مقاطع)

## [16]Anagkh

وقالت الحمامة:
-سعيدة أنا. تحت السماء الشاسعة،
على الشجرة، على الزهرة،
بجانب التفاحة المليئة بالعسل،
على مقربة من الفسيلة الرقيقة
والتي تبللها قطرات الندى،
لدي بيتي. وأطير
برغبات الطائر،
من شجرتي الحبيبة
إلى الغابة البعيدة،

---

[16]الحتمية في الفكر اليوناني. م

حينما يخرج الفجر عاريا
ويُظهر للعالم،
على الترنيمة المرحة لصحوة الشرق،
حياء الضوء على جبهته.

جناحي أبيض وحريري.
الضوء يذهبه ويحممه،
والنسيم يمشطه.
هما قدماي مثل بتلات الوردة.
أنا الملكة العذبة
التي تهدهد ذكرها في الجبل.
في عمق الغابة الخلابة
هناك شجرة الأرزية التي
وضعت عشي فيها:
ولدي هناك، تحت أوراق الشجر الطازجة
فرخ لا مثيل له، وُلد لتوه.

أنا الوعد المجنح،
القَسم الحي؛
أنا من تحمل تذكار الحبيبة
إلى الحبيب مشغول البال.
أنا حاملة رسائل
الحالمين الحزانى والمحتدمين،
من تمضي مرفرفة تطلق الحب
بجانب شعر معطر.

أنا زنبق الريح.
تحت الزرقة العميقة للسماء
أعرض كنزي الجميل والوافر
من الجواهر والأناقة:
الهديل في المنقار،
اللمسة في الأجنحة.
أنا أوقظ الطيور الثرثارة
لتغرد بأناشيدها المنغمة،
أحط على أشجار الليمون المزهرة
وأسقط وابلا من الأزهار.

جد بريئة أنا ونقية.
أزهو في خضم الرغبة،
وأرتجف في الحنان الحميم
للمسة، لضجة، لرفرفة.
آه أيها الأزرق الشاسع!
إنني أحبك. لأنك تمنح فلورا المطر
والشمس المتوهجة أبدا؛
وبجانب كونك قصر الفجر
فأنت أيضا سقف عشي.
أى أيها الأزرق الشاسع!
إنني أعشق غيمك المتلون البهيج،
وهذا الضباب الدقيق من غبار الذهب
حيث تذهب العطور والأحلام.
أعشق الأحجبة الرقيقة، الشاردة،
للضباب العائم،
حيث أميل إلى الرياح الحنونة
المروحة الحريرية من ريشاتي.

سعيدة أنا! لأن الغابة ملكي
حيث يُعثر على سر الأعشاش؛
لأن الفجر هو عيدي
والحب جيشي ومعركتي.
سعيدة، لأنني متخمة بالشغف العذب
فخري في تدفئة أفراخي،
لأنه في الغابات العذراء ترن
الموسيقى السماوية لهديلي.
لأنه لا توجد وردة لا تحبني
ولا طائر لطيف لا يسمعني
ولا مغن أنيق لا يناديني.
– نعم؟ حينئذ قال صقر باشق مرذول
بغضب وضعه في الحوصلة.

حينئذ الإله الطيب على عرشه هناك،
-بينما الشيطان، كي يصرف حقده، قام
بالتصفيق لذلك الطائر النفور-
أخذ يتأمل.
قطب جبينه
وفكر وهو يرى خططه الواسعة
ويفحص النقاط والفواصل،
أنه عندما خلق الحمامات
ما كان ينبغي أن يخلق الصقور.

## إلى كولومبس

(مقاطع)

الأميرال البائس! أميركتك المسكينة،
هديتك العذراء والجميلة بدمها الساخن،
جوهرة أحلامك، هستيرية
بأعصاب متشنجة وجبهة شاحبة.

روح وخيمة تتملك أرضك:
حيث القبيلة المتحدة أشهرت هراواتها،
تنشب اليوم حرب أبدية بين الأشقاء
يجرحون بعضهم ويدمرون أعراقهم نفسها.

محل الصنم الحجري يحل الآن
صنم من لحم متوج.
وكل يوم يضيء الفجر الأبيض
في الحقول الشقيقة من الدم والرماد.

مزدرين الملوك منحنا أنفسنا قوانين
على صوت المدافع والأبواق،
واليوم بالمنة المشئومة للملوك السود
يتأخي يهوذا وقابيل.

شاربين النسغ الفرنسي المرح
بأفواهنا الهندية شبه الإسبانية،
نغني يوميا لامارسييز[17]
لننتهي راقصين الكارمينولا[18].

صراعات ورعب وحروب وحمى مستمرة
وضعت في طريقنا الحظ التعس:
أيها الأميرال البائس، كريستوفر كولومبس،
تضرع إلى الله
من أجل العالم الذي اكتشفته!

---

[17] النشيد الوطني الفرنسي

[18] رقصة شعبية

# إلى مارجريتا ديبايلي[19]

مارجريتا،
جميل هو البحر،
والريح
تحمل عطرا خفيفا
من زهر البرتقال؛
أشعر
أن ثمة قبرة في روحي تغني
نبرتك.

---

[19] حبيبة الشاعر وملهمته

مارجريتا،
سوف أحكي لك حكاية:

كان يا ما كان ملك
لديه قصر من الماس،
خيمة مصنوعة من النهار
وقطيع من الفيلة،
كشك من المالاكايت[20]
وعباءة كبيرة من نسيج مزركش،
كانت جميلة،
مثلك تماما يا مارجريتا.

---

[20] نوع من كربونات المعادن

ذات مساء لمحت الأميرة
نجمة تتبدى،
الأميرة المشاغبة
أرادت قطفها.

أرادتها كي تزين
مشبك شعرها،
ببيت شعر ولؤلؤة
وريشة وزهرة.

الأميرات البديعات
يشبهنك كثيرا.
يقطفن زنابق وورودا
يقطفن نجوما، هكذا هن.

راحت الطفلة الجميلة إذن،
تحت السماء وفوق البحر،
كي تقطف النجمة البيضاء
التي طالما جعلتها تتنهد.

واصلت طريقها
عبر القمر وأبعد منه،
لكن المؤسف أنها
لم تأخذ إذن أبيها.

عند عودتها
من حدائق الإله،
بدا كل شيء ملفوفا
في بهاء عذب.

وقال الملك:
"ماذا فعلت؟
بحثت عنك ولم أجدك،
ماذا لديك على صدرك،
يبدو منقدا عليك؟

لم تكذب الأميرة.
وهكذا قالت الحقيقة:
"رحت أقطف نجمتي
في الشساعة الزرقاء".

صرخ الملك:
"ألم أقل لك ألا
تلمسي الأزرق؟
يا للجنون! يا للتهور!
الرب سوف يغضب".

وهي قالت:
"لم يكن في نيتي،
ذهبت لا أعرف لماذا،
عبر الأمواج وفي الرياح
رحت للنجمة وقطفتها."

قال الأب حانقا:
"لابد من عقاب،
عودي للسماء
وما سرقته
ستعيدينه الآن."

حزنت الأميرة
على زهرتها الحلوة من الضوء،
حينئذ ظهر باسما
المسيح الطيب.

وهكذا قال:

"في حقولي

هذه الوردة قدمتها لك،

هي زهراتي للفتيات

اللواتي يفكرن بي في الأحلام"

ارتدى الملك ملابس زاهية،

وقام بعرض

أربعمائة فيل

على حافة البحر.

الأميرة بهية،
فلديها الآن المشبك
يلمع فيه، بجانب النجمة،
بيت شعر ولؤلؤة وريشة وزهرة.

مارجريتا،
جميل هو البحر،
والريح
تحمل عطرا خفيفا
من زهر البرتقال،
من أنفاسك.

بما أنك بعيدا عني ستكونين،
احفظي، يا فتاة، إذن،
ذكرى لطيفة
أردت أن أحكيها لك
ذات يوم.

## إلى رزفلت

أبصوت الإنجيل أم بشعر والت ويتمان
كان يمكن الوصول إليك، أيها الصياد!
بدائي وحديث، بسيط ومعقد،
بشيء من واشنطن وبالكثير من النمرود.
أنت الولايات المتحدة الأمريكية،
أنت الغازي القادم
لأمريكا الساذجة ذات الدماء الهندية الحمراء،
والتي للآن لا تزال تصلي للمسيح وتتكلم الإسبانية.

شامخ أنت ومثال قوي على سلالتك؛
أنت مثقف وأنت ماهر ومعارض لتولستوي.
تروض خيولا، أو تقتل نمورا،
أنت الإسكندر ونبوخذنصر.

(أنت معلم الطاقة،
كما يقول مجانين اليوم).
تظن أن الحياة حريق،
أن التقدم انفجار؛
حيث تضع رصاصتك
تضع المستقبل.
لا.

الولايات المتحدة كبيرة وقوية.
عندما ترتج يحدث زلزال عميق
يمر عبر الفقرات المهولة لجبال الإنديز.
عندما تهدأ، يسمع شيء كزئير الأسد.
لقد قال هوجو لجرانت: "النجوم ملككم".
(بالكاد تسطع شمس الأرجنتين الطالعة
والنجمة التشيلية تصحو...)

أنتم أثرياء.
تجمعون عبادة المال بعبادة هرقل؛
مضيئين طريق الغزو السهل،
والحرية ترفع مشعلها في نيويورك.

لكن أمريكتنا، من كانت تحفل بالشعراء
منذ أزمنة نيزاهوالكويوتل[21] البعيدة،
حفظت آثار أقدام باخوس،
وتعلمت الأبجدية المرعبة في زمن قصير،
استشارت النجوم وعرفت أطلانطا،
اسمها القادم إلينا مذكرا بأفلاطون،
فمنذ الأيام السحيقة لحياتها
تعيش على الحب والنار والعطر والحب،
أمريكا موكتيزوما[22] العظيم، أمريكا الإنكا،
أمريكا كريستوفر كولومبس ذات الأريج،
أمريكا الكاثوليكية، أمريكا الإسبانية،
أمريكا التي قال فيها النبيل جواتيموك[23]:

---

[21] نيزاهوالكويوتل (1402-1472) كان ملكا لتيتزكوكو في المكسيك القديمة وكان شاعرا واسمه يعني "الذئب الصائم".

[22] يعرف باسم مونتيزوما الثاني أو الشاب، كان ملكا للأزتيك من عام 1502 إلى عام 1520 وثمة تباين كبير في المصادر التاريخية التي تروي حياته، لكنه هزم وأسر على يد إرنان كورتيس. موكتيزوما (1466-1520)

"لست في فراش من الورد"؛ أمريكا تلك
التي ترتعد من الأعاصير
وتعيش على الحب،
رجال بعيون ساكسونية وأرواح بربرية، تعيش
وتحلم وتعشق وتهتز،
هي ابنة الشمس.

احذروا! أمريكا الإسبانية تحيى!
هناك ألف شبل طليق من الأسد الإسباني.
يحتاج الأمر، يا روزفلت، أن تكون الإله نفسه،
أن تكون المسلح المرعب بالبندقية والصياد المتين،
حتى يمكنكم أخذنا في براثنكم الحديدية.
تعولون على كل شيء، ولكن شيئا واحدا ينقصكم:
الله!.

---

[23] جواتيموك (1496-1525) آخر ملوك المكسيك، هزمه القائد الإسباني أرنا
كورتيس واستولى على المكسيك عام 1521.

# دوافع الذئب

الرجل الذي له قلب زنبقة،
وروح ملائكية ولسان سماوي،
الراهب العذب فرانسيسكو دي أسيس[24]،
مع حيوان فظ وعابس،
وحش مرعب من دم ومن سلب،
الحلقوم من هياج والعينان من شر:
ذئب غوبيو[25]
الذئب المرعب!

---

[24] وتوفي عام 1226. يعرف أيضا باسم فرنسيس الأسيزي وهو مؤسس الرهبنة الفرنسيسكانية، ولد عام 1181 لأب إيطالي ثري وأم فرنسية

[25] اسم مدينة إيطالية ويحكى أن ذئبا شرسا ظهر فيها وكان يلتهم الحيوانات والبشر حتى واجهه القديس فرانسيسكو ورسم عليه علامة الصليب ففر الذئب هاربا من البلدة.

المسعور الذي اجتاح من حوله؛
القاسي الذي خرب القطعان كلها؛
التهم خرافا، التهم رعاة،
قتلاه لا يحصون ولا خرابه.

صيادون أشداء مسلحون بالحديد
تحطموا.
أنيابه القاسية
أدركت أشجع الكلاب
كما أدركت الحملان والجديان.

خرج فرانسيسكو
باحثا عن الذئب في وجاره.
بالقرب من الكهف وجد الوحش الهائل،
والذي ما إن رآه
حتى هجم عليه بضراوة.
فرانسيسكو، بصوته العذب،
رفع يده قائلا للذئب الهائج:
"سلاما أخي الذئب!"
تأمل الحيوان الرجل ذا الرداء[26] الخشن؛
ترك مظهره النافر
وأطبق فكيه العدائيتين
وقال:
"حسنا، أخي فرانسيسكو!"

---

[26] رداء خشن يصنع من الصوف عادة كان يرتديه القديس فرانسيسكو، مثل أشد الرجال فقرا في عصره، وذلك تقربا من الله

هتف القديس: كيف؟
هل من العدل أن تحيى بالرعب والموت؟
والدماء التي يريقها خطمك الشيطاني
والحزن والذعر الذي تنشره،
وبكاء الفلاحين، والصراخ،
وآلام مخلوقات سيدنا الإله،
ألا تكفي لإرواء عطشك الجحيمي؟
أآت أنت من الجحيم؟
هل ألهمك الشيطان حقده الأبدي؟
رد الذئب الضخم بتواضع:
– الشتاء قاس، والجوع فظيع!
لم أجد ما يؤكل في الغابة المتجمدة،
فبحثت عن الماشية،
وفي بعض الأحيان
أكلت الماشية والراعي.

الدم؟
لقد رأيت أكثر من صياد على جواده،
يحملُ الباز في كفه
مطاردا الخنزيرَ البري أو الدبَ أو الأيل،
ورأيتُ أكثر من واحد مخضبا بالدماء
مجروحا، ومعذبا،
من الأبواق الأجشة إلى الصرخة الصماء،
إلى حيوانات سيدنا الإله.
ولم يكن ذلك لإشباع الجوع،
بل الصيد.
أجاب فرانسيسكو: ثمة في الإنسان بذور شريرة.
عندما يولد تصحبه الخطيئة.

إنه لأمر محزن.
فروح الحيوان البسيطة أكثر طهرا.
وأنتَ سوف تجد منذ اليوم ما تأكله.
وسوف تترك في سلام القطعانَ وأناس هذه البلدة.
ليطعّم الله بالعسل كينونتك الخشنة!
-حسنا يا أخي فرانسيسكو دي أسيس،
أمام الله الذي يعقد ويحل،
أمدّ ساقي إيمانا بالقسم.
ومد الذئب ساقه إلى أخيه دي أسيس
والذي بدوره مد له يده.

ذهبا معاً إلى القرية،
كانت الناس ترى وما يرونه لا يصدقونه،
خلف الراهب كان يمشي الذئب الوحشي،
خافضاً رأسه، وهادئا يتبعه
ككلب منزلي، أو كحمل وديع.

نادى فرانسيسكو الناس إلى الساحة
وهناك وعظهم.
قائلا: هنا صيد لطيف.
الأخ الذئب يأتي معي،
وأقسم لي إنه لن يكون بعد عدوكم،
ولن يكررَ هجماته الدموية.
أنتم في المقابل عليكم أن تطعموا
بهيمة الله المسكين.

– لتكن مشيئتك؟

أجاب كل سكان البلدة.

بعد ذلك، علامة على السرور

حركَ الحيوانُ الطيبُ رأسه وذيله.

ودخل مع فرانسيسكو دي أسيس إلى الدير.

ظل الذئب هادئاً لبعض الوقت
في الحرم المقدس.
أذناه الخشنتان كانتا تستمعان للمزامير
وعيناه الصافيتان تملأهما الدموع.
تعلم ألف مناجاة ربانية ولعب ألف لعبة.
عندما كان يذهب إلى المطبخ مع الأخوان المساعدين.
وعندما يصلي فرانسيسكو
كان الذئب يلعق خفيه البائسين.
كان يخرج إلى الشارع،
يذهب عبر الجبال، ويهبط إلى الوادي،
يدخل البيوتَ فيطعمونه،
ويرونه ككلب سلوقي أليف.

ذات يوم، غاب فرانسيسكو،
والذئب العذب،
الذئب الأليف والطيب، الذئب النزيه.
اختفى، وسلك الطريق إلى الجبل.
ومن جديد بدأ عواؤه وضراوته.
مرة أخرى دبّ الإحساس بالرعب والخطر
بين الأهالي والرعاة،
وطفح الرعب في الأنحاء.
ولم تفلح الشجاعة ولا السلاح بشيء،
فالحيوان الضاري
لم يوقف هجماته الشرسة أبداً.
كما لو كان نار الشيطان.

عندما عاد القديس الإلهي إلى القرية،
قابله الجميع بالشكوى والعويل،
وأعطوا شهادة على ألف تذمر؛
وعلى كل ما عانوه وما فقدوه جراء
ذلك الذئب الشيطاني،
المرذول.

استشاط فرانسيسكو دي أسيس غضبا
ومضى إلى الجبل،
بحثاً عن الذئب الجزار المزيف.
وجد الحيوان الضار بجانب كهفه،
وقال: "باسم أب هذا الكون المقدس
أناشدك أيها الذئب الفاسد
ولتجبني، لماذا عدت إلى الشر؟
أجبني، فأنا أسمعك".

وكما في حرب صامتة رد الحيوان،
بفم مزبد وعينين مفجعتين:
أخي فرانسيسكو، لا تقترب كثيراً...
لقد كنتُ أنا مطمئناً هناك في الدير؛
أخرج إلى القرية،
وإذا ما أعطوني شيئا أكون سعيدا
وهادئا آكله،
إلا أنني بدأت أرى أنه في كل بيت
يقبع الحسد والسخط والغضب،
وفي كل الوجوه تتقد نار الكراهية
والفجور والخزي والكذب.
الأخوة يحاربون بعضهم،
في حرب يخسرها الضعفاء ويكسبها الأشرار،
الأنثى والذكر ككلب وكلبة،
وذات صباح الجميع ضربني بالهراوات.

رأوني متواضعاً، ألعق الأيدي والأقدام،
وأنفذُ تعاليمك المقدسة،
وكانت كل المخلوقات إخوة لي:
أخوتي البشر، وأخوتي الثيران،
وأخواتي النجوم وأخواتي الديدان،
وهكذا ضربوني بالعصي وطردوني.
ضحكاتهم كانت كماء مغلي
فانبعث الوحش من أحشائي،
وشعرت فجأة أنني الذئب الشرير؛
غير أنه دائما أفضل من كل أولئك البشر الأشرار،
وبدأت من جديد كفاحي هنا.

عن نفسي أدافع ولنفسي أبحث عن الطعام،
كما يفعل الدب، والخنزير البري،
كي يبقى حيا لابد أن يقتل.
دعني أعيش في الجبل، بين الصخور،
دعني أحيا في حريتي.
اذهب إلى ديرك، أخي فرانسيسكو،
واصل طريقك، وواصل قداستك.

لم يقل له القديس فرانسيسكو شيئا.
نظر إليه نظرة عميقة،
ورحل باكيا ومغموما.
وتحدث من قلبه إلى الإله الخالد،
وحملت ريح الغابة صلواته،
والتي كانت:
"أبانا، الذي في السموات..."

## ابتهالات سيدنا "دون كيخوته"

ملك النبلاء، سيد الحزانى،
تتغذى بالقوة وترتدي الأحلام،
متوجٌ بخوذة الوهم الذهبية،
لم يهزمك أحد إلى الآن.
الدرع في ذراعك، كله خيال،
والرمح في يدك، كله قلب.

أنبل النازحين،
قدّست كل الطرق،
بالخطوات الجليلة لبطولتك،
مواجها كل يقين، مواجها كل ضمير،
مواجها القوانين والعلوم،
مواجهاً الأكاذيب، مواجهاً الحقيقة.

فارس الفرسان الشارد،
سيد الرجال، أمير الوحوش،
ندّ الأنداد، أيها المعلم، تحياتي!
تحياتي، لأنني اليوم أظن أنه
لديك القليل جدا،
بين التصفيق أو الازدراء،
وبين التيجان وبين التهاني،
وحماقات الحشود.

أنت، بالنسبة لمن رآها قليلة
انتصاراتك القديمة
ولمن تكاد تكون الأمجاد الكلاسيكية
بالنسبة له حقّة وحقيقية،
تحملت أنت.

تحملّت المديحَ، والذكريات، والخطابات،
تحملّت المبارزات، والبطاقات، والمسابقات،
وبدلاً من أن تكون البطل أورفيوس[27] كنت جوقة كاملة.

استمع، يا رولاند[28] الأحلام الإلهي،
إلى عاشق لحصانك الخشبي[29]
وصهيله المزيف نحوك،
استمع إلى آيات تلك الابتهالات،
المصوغة من أشياء الحياة اليومية،
ومن أخرى في الغموض رأيتها.

---

[27]أورفيوس أحد الأبطال الخارقين في الميثولوجيا اليونانية ومن كانت تنام الوحوش على ألحانه.

[28]الإشارة إلى أنشودة رولاند الفرنسية

[29] في الأصل وهو حصان خشبي يظهر في الجزء الثاني من الكيخوته Clavileño

ابتهل من أجلنا، نحن الجوعى إلى الحياة،
بروح تتحسس طريقها، وبإيمان مفقود،
نحن من يملؤنا الكرب، المحرومون من الشمس؛
بسبب الأرواح الوصولية ذات الأكمام الواسعة
التي تسخف من كائن "لا مانتشا"،
الكائن الكريم والكائن الإسباني.

ابتهل من أجلنا، نحن بحاجة
إلى الأزهار السحرية،
وأوراقِ الغار المهيبة،
Pro nobis ora[30]
(ترتعش أيكات الغار في العالم،
وقبل شقيقك الغامض، "سيخيسموندو"،[31]
فإن هاملت الشاحب سيقدم لك وردة).

---

[30] باللاتينية" ابتهل من أجلنا، أو صل من أجلنا

[31] بطل مسرحية كالديرون دي لا باركا وهي بعنوان "الحياة حلم"

تضرع أيها الكريم، الرحيم، الأبي،
تضرع أيها العفيف، النقي، السماوي، الشجاع،
كن شفيعنا، تضرع من أجلنا،
نكاد نكون دون نسغ، ولا انبثاق،
بلا روح، بلا حياة، بلا نور، بلا كيخوتي،
بلا أقدام، بلا أجنحة، بلا "سانشو"،
دون الله.

من كثرة الأحزان، ومن الآلام الكثيرة،
ومن الإنسان الأعلى لـ "نيتشه"،
ومن الأناشيد المصمتة، والوصفات التي يوقعها طبيب،
من أوبئة التجديفات المرعبة للأكاديميات،
نجنا يا سيد!

من الوشاة القساة،
من جواب الآفاق المزيفين،
من الأشباح الرقيقة الرخوة الخسيسة،
من الأوباش الذين يشبعون
سفالتهم بالسخرية من المجد،
من الحياة، من الشرف،
من الخنجر الأنيق،
نجنا يا سيد!

أنبل الناذحين،
قدّست كل الطرق،
بالخطوات الجليلة لبطولتك،
مواجها كل يقين، مواجها كل ضمير،
مواجها القوانين والعلوم،
مواجهاً الأكاذيب، مواجهاً الحقيقة.

صل من أجلنا يا سيد الحزانى،
يا من تتغذى بالقوة وترتدي الأحلام،
متوجا بخوذة الوهم الذهبية،
لم يهزمك أحد إلى الآن.
الدرع في ذراعك، كله خيال،
والرمح في يدك، كله قلب.

# سوناتة صغيرة

الأميرة حزينة...
ما بها الأميرة؟
من فم الفراولة، فمها،
تهرب التنهدات،
لقد فقدت ضحكتها،
فقدت لونها.
الأميرة شاحبة في كرسيّها الذهبي؛
وفي إناء منسيّ
يغمى على زهرة.

الحديقة تكتسي بفخر الطواويس.
الوصيفة، ثرثارة تحكي أشياء تافهة،
المهرج، بزيه الأحمر، يدور على قدم واحدة.
الأميرة لا تضحك،
الأميرة لا تشعر؛
الأميرة تتابع عبر سماء الشرق
يعسوبا يجول في وهم غامض.

هل تفكر في أمير جلوكونسا أو الصين؟
أم فيمن أوقف عربتها الأرجنتينية الفاخرة
كي يرى في عينيها رقة الضوء؟
أم في ملك جزر الورد العبقة؛
أم في سيد الألماس الساطع،
أم في المالك الفخور
للؤلؤ الهرمزي؟

آه، الأميرة المسكينة بفمها الوردي
ترغب أن تكون سنونوة،
ترغب أن تكون فراشة،
أن يكون لها جناحان خفيفان،
وتحلق تحت السماء،
تذهب للشمس عبر سلم مضيء من شعاع،
تحيي الزنابق بأشعار مايو،
أو تتوه في الريح
فوق رعد البحر.

لم تعد تريد القصر،
ولا المغزل الفضي،
ولا الصقر السعيد،
ولا المهرج القرمزي،
ولا البجعات المجتمعات في بحيرة اللازورد.
الزهرات حزينة من أجل زهرة القصر؛
ياسمين الشرق ولوتس الشمال،
وأضاليا الغرب ووردات الجنوب.

مسكينة الأميرة ذات العيون الزرقاء!
سجينة في ذهبها،
سجينة في أنسجتها الرقيقة الشفافة،
في القفص الرخامي للقصر الملكي،
القصر المهيب الذي يراقبه الحراس،
ويحرسه مائة رجل أسود بمائة حربة وفأس،
وكلاب سلوقية لا تغفو وتنين جبار.

يا من كانت هيبسيبيل[32] التي غادرت الشرنقة
(الأميرة حزينة، الأميرة شاحبة)
أيتها الرؤية الحبيبة من ذهب وورد وعاج!
من يثمن الأرض التي فيها
ثمة أمير
(الأميرة حزينة، الأميرة شاحبة)
أكثر إشراقا من الفجر
وأجمل من أبريل!

---

[32]في الميثولوجيا اليونانية ملكة ليمنوس

صه، صه، أيتها الأميرة
تقول الجنية الإشبينة،
بحصانه المجنح متوجه إلى هنا،
السيف في جرابه والباز في يده،
الأمير السعيد الذي يعشقك
دون أن يراك،
والذي يأتي من بعيد، هازما الموت،
ليؤجج شفتيك بقبلة غرامه.

# عجوز جريء

أيها العجوز الجريء،
أيها العجوز الجريء،
لا تطارد حبيبتي؛
عشاق الوردات
ليسوا طيور الشتاء.

أيها العجوز الجريء،
أيها العجوز الجريء،
لقد أخذت مني حبيبتي
يا من كنت تتباهي
في حفل الزفاف
صابغا شيبك من جديد!

أيها العجوز الجريء،
اضحك، اضحك،
فقد عاد ربيعك؛
عاد بقوة
إلى درجة أن
الفجر بزغ اليوم
مُبَرْعِمًا رأسك.

# فهرس

## حكايات نثرية


بحثا عن اللوحات ..... 9
منظر طبيعي..... 11
الرأس ..... 13
طبيعة صامتة ..... 14
المثال..... 15
الملك البرجوازي ..... 16
العصفور الأزرق ..... 26


## نصوص شعرية


في تشيلي ..... 35
إلى كولومبس ..... 42
إلى مارجريتا ديبايلي..... 45
إلى رزفلت ..... 56
دوافع الذئب..... 61
ابتهالات سيدنا "دون كيخوته"..... 77
سوناتة صغيرة..... 85
عجوز جريء..... 92